ثغرة ابن يعقوب

خالد حمدى

ارتفع نفير تلك السيارة المسرعة فى ذلك الوقت المتأخر من قلب الليل ليشق سكونه بشكل مزعج مستهتر يتنافى تمامًا مع احترام حقوق الأخرين، بينما تعالى صوت موسيقى صاخبة صادرة من كاسيت السيارة الفخمة، عند هذا التقاطع وبصريرٍ مزعجٍ للغاية نتج عن كبح قائد السيارة جماحها، توقفت السيارة بعد ما خلَّفت علامتين متوازيتين بالأرض الإسفلتية امتدت عدة أمتار نتيجة عامل الإزاحة، لتثير عاصفة ترابية خفيفة ما لبثت أن انقشعت سريعًا ليهبط من السيارة شاب مفتول رياضى البنية يبدو أنه فى نهاية عقده الثالث، وتبدو عليه ملامح السكْر والاستهتار.. وبعد تناوب إلقاء عبارات السباب النابية بينه وبين رفقته وسط موجة أخرى من الضحك، تحركت السيارة من جديد لتبتعد فى تشوش ناظريه وغشاوة ضبابية نتيجة تناول المسكرات والمخدرات، أخذت تبتعد مسرعة ليتلاشى معها صوت الموسيقى تدريجيًا حتى اختفت تمامًا، لازال يقف ذلك الشاب رافعا رأسه لأعلى يتنسم هواء الليل البارد تحت شعوره بالارتخاء التام والخفَّة المطلقة..

كان يقف على بداية ذلك التقاطع الذى يمتد من أمامه شارع طويل به يقبع منزله، كان عريضًا إلى حد كبير تتراص على جانبيه بعض الفيلات القديمة التى هجرها سكانها منذ زمن، فخرجت من أسوارها فروع كثيفة متشابكة لأشجار ضخمة من الجانبين تقذف ببعض المهابة فى القلوب، من بعيد لاح ذلك العامود الكهربائى الوحيد الذى ينتهى بكشافٍ مرتعش الإضاءة يلقى بظلال مهيبة على الطريق.. تحرك الشاب فى خطوات تبدو ثقيلة كمحاولة لحفظ توازنه حتى لا يسقط أرضًا، كان يدندن بإحدى الأغانى العربية الشهيرة ويبدو أن

صوته أعجبه للغاية، مما دفعه للوقوف برهة ليطلق لكفيه العنان فأخذ يصفق بهما فى حرارة وهو يقول لنفســـه فى مزاح:

– الله عليكِ يا ست.

ثم أطلق ضحكة عالية تردد صداهـــا من حوله، الغريب فى الأمر أن صوت صدى ضحكته ظل يتردد لثوانٍ طويلة بشـــكلٍ غريب!

اتسعت ابتسامته وهو لازال يتسكع داخل الطريق، فقال لنفسه بنفس النبرة المازحة:

– مـــا هذا؟ تبدو ضحكتـــى مخيفة جدًا وهى تتردد علـــى هذا النحو، مؤكدا أن هناك روحًا شـــريرة تتبع أثره!

ثم أطلق ضحكة أخرى.

وبهذه المرة تردد صدى ضحكته طويلًا طويلا جدا ليكسر حاجز العشر ثوان!

انتبـــه فجأة للأمر، حاول عبثًا فتح عينيـــه، فأغمضهما وردهما عدة مرات وهو يهز رأســـه عساها تستجيب، فجأة سمع صوت صرخة مكتومة حملهـــا الهواء إلى أذنيه! صرخة أنثوية

أوجـــف خيفة إثر ما تناهى إلى سمعه، اشـــرأب بعنقه يحاول جاهدًا اختراق ظلمة الليل وينصت السمع عله يعلم من أين أتى صوت الصرخة، ورغم وقوعه تحت تأثير الكحول، الا أنه كان شبه متيقن أن الصوت أتى من بعيد من الجانب الأيمن، ولما لم يكن هناك ســـوى تلك البناية تحت الإنشـــاء، استنكر أن يكون الصوت صادرًا منها.. بدأ تأثير الكحول يزول

تدريجيا والغشاوة تنقشع، خاصة مع شعوره بالتوتر الذى انتشر بجسده كالنار بالهشـــيم، كان صوت دهس أقدامه لبعض أوراق الشجر الجافة مزعجًا ومخيفًا خاصة مع الهدوء الذى خيم على الأجواء، ومع تســـارع خطواته انتبه لصوت وقع أقدامٍ تتبعه وتســـرع نحوه، انتصب شعر رأسه واجتاحته موجة عاتية من القشـــعريرة المخيفة، فارتفعت لها الدماء إلى رأسه، وتسارعت دقات قلبه بقوة، فالتفت سريعًا فى وجلٍ ينظر خلفه و..

ولم يجد أحدًا مطلقًا وراءه!

عاد بنظره وتنفس الصعداء ثم أخذ يســـتجمع قواه التى ذهبت أدراج الرياح.

أصبح رأسه صافياً تمامًا عقب هذا الموقف، الأمر الذى دفعه لاستكمال طريقه بذهن صاف.. تحرك من جديد تحت سحابة من الصمت المطبق، الأجواء ســـاكنة، الطريق خالٍ تمامًا من البشـــر، نسائم الليل بدت له متوقفة على غير ما استشعره منذ لحظات!

ثمة شعورغريب اكتنفه؟

غريب هذا؟

لم يعد يسمع صوت أى شيء

لم يعد يسمع صوت وقع أقدامه

بل لم يعد يسمع حتى صوت حفيف الأشجار من حوله

ما هذا؟ هل أصيب بالصمم؟

كان هناك طنين قد بدأ يتسرب لأذنيه ما لبثت أن تعالت حدته بشكل كاد معه رأسه يتفجر، وضع كفيه على أذنيه فى محاولة فاشلة لمنع هذا الطنين، ظل يرتفع ويرتفع تحت نظراته الزائغة.. لم يدر ماذا حدث؟ وكيف سقط أرضًا؟

كل ما شعر به أنه كان ممدًا على الطريق وبرأسه صداع يفتك به، فقام من رقدته ينفض ثيابه وقد تخلله شيء من الارتياح عند سماعه صوت طائر الكروان المميز من فوقه، الذى بث بقلبه بعض الطمأنينة، وبينما كان يقترب من تحت تلك البناية لمح وكأن خيالًا يتحرك هناك بالطابق الأول!

شعر بالخوف يزحف بجسده فأسرع الخطى، كان بين شقى الرحى، فإما أن يُكذِّب عينيه ويخفض ناظريه ويستكمل الطريق متحملًا تبعات هذا، أو إنه يحاول فهم ما يدور من حوله!

أخيرًا انتصر فضوله، أو لو شئنا الدقة انتصر خوفه.. عجيب هذا الإنسان!

بيد أنه شعر بالخطر يقترب منه، بدلًا من أن يعود أدراجه ويجنب نفسه ويلات الهول، تراه يخوض بملء إرادته التجربة ويلقى بنفسه فى مهاوى الردى!

كانت ترتدى قميصًا خفيفاً أبيض اللون، تقف بشرفة الطابق الأول تنظر نحوه فى تضرعٍ على ملامحها أقصى سمات الرعب، تشير بيديها نحوه تستنجد به.. باغته ظهور ذلك الكائن المخيف بيده سكين يلتمع نصله، كانت تصرخ فى رعبٍ شديد، ولكن تلك الصرخات لم يَسمع لها

صوتًا، شـــعر بصراخها يخترق جوفه، لكن أذنيه لم يلتقطا شيئا! أى رعب هذا الذى يعيشه؟

كانت ساقاه ترتعشان لا تســـتطيعان حمله حينما رأى ذلك الكيان يطبق ذراعه على عنقها بينما ذراعاها تمتدان للأمام وتتشـــبثان بالهواء والفراغ، وبيده الأخرى يهوى بســـكينه على قلبها، لتتفجّر الدماء وتغرق قميصها الأبيض، دارت الأرض من تحت قدمه، وبدأ الضباب ينتشر بعقله لكن فجأة بدده ارتفاع رنين هاتفه الخلوى، بيدٍ مرتجفة أخرجه ليرى على شاشته رقم المتصل (ماجد كونان) صديقه الحميم، يالفرحته آنذاك.

بســـرعةٍ فتح الاتصال ووضع الهاتف على أذنه وهو يقول فى انفعالٍ جارف:

- ماجد أين أنـــ..

قطعت جملته تلك الصرخة المخيفة التى سمعها من الجانب الأخر فانتفض جســـده، خفض هاتفه ليتأكد من الرقم فوجده رقم صديقه، وضعه مرة أخرى على أذنه وهو يرهف السمع!

كانت هناك صرخات تشـــيب لهولها الولـــدان، وكأن أحدهم يرى الجحيم بعينيه، صرخات مدوية يقع صاحبها تحت تعذيب ربما لم يسمع إنس عنه من قبل!

نظر الشاب بشكل تلقائى نحو الشرفة فوجدها خالية، تلعثم وتحشرج صوته وهو يقول راجيًا:

- ماجد، أين أنت؟ ماذا يحدث عندك؟

سمـــع صوت أنفاس لاهجـــة بينما اختفت الصرخـــات تمامًا، فعاود الســـؤال مرة ثالثة وبلهجة متضرعة:

- ماجد أين أنت؟ أجبنى بالله عليك.

سمع صوت صديقه وهو يقول بوهن:

- ماذا صنعت بنا أيها التعس؟ لقد رأينا الجحيم على الأرض، رأينـــ.. رأيناهم من حولنا، نعم رأيناهم..

ثم بدأ يبكى وهو يستطرد:

- لقد تركناك وابتعدنا وســـلكنا الطريق الســـاحلى، وحينما نظرت لمؤشـــر الوقود وجدته قد أوشـــك على النفـــاد، توقفنا عند إحدى محطات تموين الوقود، ترجلت من السيارة لأننا لم نلمح أحدا هناك، وبينمـــا كنت أصيح مناديًا أحدهم، وبالســـيارة الرفاق يتضاحكون، رأيت منظـــرًا مخيفًا لم أصدقه لوهلة!

رأيت كائنا بشـــعًا على بعد عشـــرة أمتار يجثم فـــوق صدر أحدهم ويلتهم معدته فى منظر مقززٍ، عدت بظهرى فى خوف شـــديد، لكن من هول فجيعتى وخوفى تعثرت وســـقطت أرضًا، لمحنى ذلك الكائن بعد أن انتبه لتعثرى فأطلق زمجرة سحيقة وقفز قفزة هائلة أصبح بها على بعد خطوات منى، زحفت مسرعًا تحت صرخاتى الفزعة ودخلت السيارة وأدرت مقودها بسرعة وانطلقت..

قاطعه الشاب فى خوف عظيم:

- أى عبثٍ هذا الذى تخبرنى به؟

لم يسمع إجابة لسؤاله، ثم كرر سؤاله مرة أخرى فسمع ماجدا يهمس فى رعبٍ شديد يستكمل ما بدأه:

- انطلقتُ بالسيارة تحت صرخاتنا المروعة، فلقد رأى جميعنا هذا الكائن المخيف، أغلقنا الأبواب وأنا أحاول عبثًا الهروب، فجأة اختفى الكائن دون أن نرى أو نعلم أين وكيف اختفى، فعدنا إلى الطريق ولا ندرى أهذه هلوسة سقطنا فيها من أثر الشراب؟ أم هى حقيقة؟

كان الشاب يستمع فى توتر بلغ ذروته ورعب اجتاح كيانه كاملًا، فقال بصوت هامس غلفّه الخوف:

- ثم ماذا حدث أخبرني؟

قال ماجد فى موجة بكاء هستيرية:

- لقد التهم الكائن مرام يا حازم، التهمها ولم يتبق منها شيء سوى بعض الأشلاء، أنت السبب يا حازم، أنت من صنعت بنا كل هذا، لقد تعطلت السيارة بعد نفاد الوقود فهبطنا جميعا منها فى مكان مقفرٍ، ومنذ أن هبطنا ونحن نسمع صرخات أنثوية تستغيث، وعواء كلاب، وهمهمات مخيفة وأصواتٍ جحيمية مرعبة.. لقد وقعنا فى المصيدة، وها هم يقتنصوننا واحدًا تلو الآخر، لقد مات الجميع ولم يتبق سواى.. وقف برهة ثم أردف فى لهجة تائهة أقرب لمن أصابه نوبة هذيان:

- أنت من لعنتنا بهذا الكتاب الملعون، لم تكن لعبة كما توهمنا، بل كانت حقيقة لم نفطن إليها إلا بعد فوات الأوان، لقد فتحت تلك الثغرة بين عالمهم وعالمنا ولن يهنأوا قبل التنكيل بنا جرّاء ما دنسناه

بفعلتنا الحمقاء تلك.. أشـــعر بهم من حولى، إنهم آتون من أجلى إنهـــ..

قاطعة حازم فى بكاء وخوف شديد:

- اصمت يا ماجد لا ترفع صوتك، اصمت أرجوك.

لم يسمعه، أو لم يكن لديه ما يفعله، فاستطرد بلهجة استسلام:

- ولم الصمت وأجلـــى آتٍ آت لا محالة؟ لقد انتهى أمرى، كما انتهى أمر مرام، وياســـر، ونسرين.. لقد مات الجميع بأبشع وسيلة تنكيل، صرخاتهم تتردد بأذنى، وملامح الذعر التى حفرت على قســـماتهم أمام عينى فلم الخوف.

قاطعه مرة أخرى:

- اصمت أرجوك.

- لا لـــن أصمـــت، لقد جاء دورى ولـــن أتركهم يهنـــأون أو يتلذذون بإخافتى.

سمـــع حازم عبر الهاتف صـــوت صديقه يرتفع وهـــو يصيح فى قوة وضحك هستيرى:

- أعلم أنكم هنا ترونني وتســـمعوننى، تنتظرون ذروة خوفى لتطلقوا زبانيتكـــم، ولتطبقوا فكاكـــم على، لن أمنحكم هذا الشـــرف أيها الملاعين، لـــن أسمح لكم بالـــ..

خرقت أذن حازم تلك الصرخة المهيبة التى أطلقها صديقه، ليعقبها صوت قرقعة عظام تتفصَّد، فعلم أنها صرخة الخلاص.

تذكـــر حازم بداية الأمر، حينما طلبـــت منه زوجته أن يتخلص من محتوى مكتبـــة والده والتى كانت توصف بالعريقـــة، ذلك بعد أن آل مآلها إلى مجموعة من الصناديـــق المهملة.. لم يكن من هواة القراءة أو البحث وراء كل شـــيء جديد، لكن هذا لم يثنـــى فضوله لمعرفة فحوى ذلك الكتاب المغلـــف بجلدٍ حيوانى غريب!

كان جلدًا له رائحة نفاذة به بقايا شـــعر أبيض وأســـود يشبه جلد الماعز، ما لفت انتباهه حقًا هـــو التاريخ الذى كُتب على صدر الغلاف، كان تاريخًـــا يعود لحقبة قديمة لعـــام ٤٣٩ هـــ، وقد نقش على الغلاف بالخط الكوفى عنوان «ملاذ الباحثين فى عالم الجن والشياطين» للشيخ العلامـــة الإمام زريق الهاشمى بن يعقوب الخزمـــى، فكان لوقع العنوان أثرعظيم فى نفســـه، أمســـكه بين يديه ثم بدأ يقلب صفحاته فى سرعة كما تقلـــب أوراق الروزنامة، ثم أخذ يتصفحه، الحقيقة أنه قد نســـى الوقـــت تمامًا وهو يتنقل داخل صفحات الكتـــاب، كان الكتاب يتحدث عن عالم الجن وســـكناهم الأرض، فبدأ الكتـــاب بتحديد ماهية أول من ســـكن الأرض من (الجن والبن) كما ذكر ابن كثير، ثم تناول مواضيع شتى تخص عالم الجن والأرواح، ومع كل صفحة تمر أمام ناظريه كان يشعر أنه كتاب شيق فى مضمونه، لذلك مكث على عكف على الكتاب، وخلال أســـبوع كامل أن ينهيه ويفنِّده كلمة كلمة، تعلم الكثير وقرأ الكثير، فأحس بالحماســـة تَدُب فى نفسه بالأخص بعد أن داعبت الأفكار الشيطانية رأسه!

كان الفصل الأخير يتحدث عن عـــالم غيبى - ميتافيزيقى - يربط بين عالمنا وعالم الجن، فهناك ثغـــرة تُفتح بين العالمين عن طريق بعض الطلاســـم التى كتبت بلغة غير معلومة ابن يعقوب ترجمتها بعد بحث فى كتب الســـحر القديمة وقد حذر من اتباع تلك الطقوس، فالعواقب حينئذ ســـتكون وخيمة، وأكمل أن كل مَن دنســـها سوف يدنَّس، ومَن فتحها ســـيُنكَّل به وتطاله لعنة أبدية لن تنفك ولـــن تزول، فإما الموت الأليم، وإما العذاب العظيم!

لم يأخذ حازم الأمر بشـــكل من الجدية أو التصديق واعتبره نوعا من الخرافات رغم حالة الخوف التى انتابته وقت ذاك، فى حينِ أنه أرجع هذا للأجواء المحيطة به، وعلى الفور نقل الأمر لأصدقاء دراســـته وشركائه فـــى حياة الفوضى والعربدة، هم كذلك اســـتخفوا الفكرة بادئ الأمر ولم يصدقوها، ولكنهم أحبوا وســـيلة استجلاب هذا العالم من خلال فتح الثغرة!!

ذكر ابن يعقوب فى كتابه أن هنـــاك عدة طرق لفتح تلك الثغرة على المريد أن يتبعها، طريقة تتحدث عن قراءة آيات قرآنية بشكل مقلوب ومعكوس، وطريقة يســـتخدم فيها الزئبـــق الأحمر، وطريقة تعود لعصر الفراعين قد اتبعها كهنة الفرعون، ولكن من بين تلك الطرق وســـيلة غريبة على إثرها قد أخذوا ينظرون لبعضهم البعض فى جذل، لتدفعهم دفعًا لخوض التجربة ولو من باب الاستخفاف!

كانت هذه الوســـيلة أن يؤتَى بماء أصل الخلـــق من ذكر وأنثى ثم يوضع عليه قطرات دماءٍ إنســـية حيّة، يتم نثرها بعد ذلك على صفحة محددة من الكتاب بها رســـومات عجيبة وكلمات أغرب بخلاف كلمات

قرآنية كانت مكتوبة بشـــكل متناثر، وبالأخير يقرأ الطلسم الذى حدده لتفتح الثغرة!

اجتمعوا ببيت ياســـرالنائى - كالعادة - وبعد حديث حازم عن تلك الوســـيلة بينما كان يغمز بعينيه، تبادلوا النظر فيما بينهم، فلســـعتهم نزعة شبق ســـاعدت الأجواء على تأججها ليتساءلوا فى مجون جريء:

- ترى من سيختارهما المُريد؟

لم يمهلهم حازم وقتًا للتفكيرأوالتساؤل، فسرعان ما أشار إليهم جميعا وهو يضحك فى صخب قائلا بلغة وقحة

- وما الضير أن يكون المطلوب منا جميعا؟

وكأنها كانت إشارة الانطلاق، فهبطت عليهم أجواء مستعرة أذاقتهم لذة ونشوة لم يعهدوها فى أنفسهم.

بعد حالـــة الانصهار التى بدت عليهم تحت أنظـــار حازم.. . انتهت الســـكرة لتبدأ الفكرة، أســـرع حازم بعد أن نهض صديقـــاه وأتياه بالمراد ليلتفـــوا جميعًا فـــى حلقة وهم لازالوا يرتدون ثيابهم وســـط حالة من الضحك العبثى، جلسوا ثم أشـــعلوا لفائفهم المخدرة.. كانت عيناه تلتمعان وهو يقوم بجرح إبهامه فى شـــغف لم يستطع فهمه، خلط الماء بالدماء وفتح كتابه وبدأ يقطر الخليط على الصفحة المعنية.. ثم بدأ يقرأ بصوت عميق:

طهاطيل بنفيث عافث أبالام دهابيل

أبراساس خميص عابث يعبث بهراقا

مطيطرون مطيعرون

أخرج عقيلس من حيث لا يعلمون

بها كأنت نفيث

خنيث عليهم كأمون

صدوق حميم لا رجيم

أباددون حام حانون

مسيطرون مسيطرون

ظل يقرأ ويكرر الطلســـم مرات ومرات حتى ســـاد الوجوم، ما جذب انتباهه بشـــدة هو اختفاء قطرات الخليط داخل الصفحة كما لو أنها امتصتها تمامًا!!

فجـــأة انطلقت مـــرام تضحك بقوة ثم أعقبتها نســـرين ثم انفجر الجميـــع فى حالة من الضحك الهســـتيرى و.. .

كل هذه الأحداث التى بدأت مع صبيحة اليوم، مرت بعقله سريعًا وهو لازال ممسكًا بهاتفه الخلوى وصوت صرخة ماجد تتردد بأذنه فتساءل فى قرارة نفسه:

كيف حدث هذا؟

لقد كنت أمزح،

هل سيصيبنى ما أصابهم؟

إن موعدى سيكون قُبيل الصبح

أليس الصبُح بقريب؟

تحرك مسرعًا ولم ينس أن يطلق بصره نحو الشرفة فوجد الفتاة تقف بردائها الأبيض تصرخ بلا صوت وتستنجد به ومن خلفها ذلك الظل.

وقف أمام المصعد يلهث، وبينما كان يستخرج سلسلة مفاتيحه الخاصة، ارتفع رنين هاتفه الخلوى ليجد اسم ماجد على الشاشة مرة أخرى!

فتح الاتصال وبيد مرتجفة وضع الهاتف على أذنه وهو يهتف باسم صديقه فى خوف، لم يسمع صوت صديقه، وإنما سمع صوتًا آخر يأتى من أعماق الجحيم يقول كلمة واحدة.. .. .. .. عقيلس.. .. .

انتفض متراجعًا خطوتين وألقى بالهاتف أرضًا لتتفكك أجزاؤه تحت نظرات الرعب التى أطلقها، ظل يتطلع إلى هاتفه بشفتين مرتجفتين وأسنان تصطك ثم أدار رأسه وجلًا ينظر للبطارية الملقاة بعيدا، اقترب فى تردد من هاتفه وما إن مال بجذعه يحاول التقاطه، انتفض مجددا وبشكل ارتج معه جسده كاملا حينما أعلن صوت المصعد عن وصوله للطابق الأرضى، التفت إليه خائفًا مترقبًا، وملتصقًا بالحائط المقابل للمصعد الذى قد استقر فى سلام.. خطرت بباله فكرة!

تقدم وأخذ يطرق باب حارسة البناية طرقات قوية، ثم عاد يلتقط هاتفه ووضعه بجيب بنطاله قبل أن يعيد تركيبه، كان يسمع صوت فتح باب غرفة الحارسة، فخرجت وهى تضع طرحتها على رأسها تسأله مندهشة:

- ماذا هناك يا أستاذ حازم، هل حدث شيء؟

ابتسم لها فى ارتياح شديد قائلًا فى انفعال:

- لا.. لا شيء، ولكن باب المصعد لا يريد أن يفتح!

نظرت إلى بـــاب المصعد فى غير فهم، ثم تقدمـــت ومدت يدها تحت دقات قلبه المتسارعة، وبمنتهى اليسر والهدوء فتحت الباب ليضاء المصباح داخله ويمنحه شـــعورا يسيرًا بالأمان، نظرت إليه قائلة فى توتر:

- ها هو أستاذ حازم، هل هناك أمر آخر؟

منحها ابتسامة ارتياح ثانية قائلا فى سرعة:

- لا لا.. لا يوجد أمر آخر.. وكيف أحوال يوسف؟

- يوسف من؟

- ابنك؟

- أنت تقصد إبراهيم.

- نعم نعم إبراهيم.. تبا للذاكرة.. حسنا حسنا استكملى نومك.. ثم ولج المصعد وأغلق الباب دون أن يرى تلك النظرة الخاوية، وذلك الجمود الذى أصاب وجهها!

منـــذ أن ضغط حازم زر الطابق الســـابع وهو يمنى نفســـه بالارتماء داخـــل صدر زوجتـــه وتقبيل وجـــه ابنه الصغير فلعل هـــذا يخفف من وطـــأة تلك الليلة، أو لربما يكتشـــف أنـــه يعيش داخـــل حلم مزعج!

ارتعشت إضاءة المصباح واهتز المصعد هزة خفيفة، أشعره هذا بالخوف فحاول تمتمة بعض الآيات القرآنية، لكن لسانه لم يطاوعه!

فجأة انطفأ المصباح وبدأ يسمع كلمات غريبة بلغة غير مفهومة ارتجف لها قلبه، وما زاد هذا الشعور لديه، إحساسه بتلك اليد التى وُضعت على كتفه، أطلق صرخة فزع ثم عاد يلصق ظهره بالمصعد تكاد أنفاسه تختنق من الهول، عاد الضوء يسطع من جديد، ليرى أبشع كوابيسه تتجسد أمامه داخل المرآة فى مشهد مرعب لأقصى حد!

ما إن عاد الضوء ونظر فى المرآة حتى وجد نفس الفتاة هناك داخلها، كانت تصرخ وتصرخ وهى تذرف دمعاتها فى توسلٍ ورجاء، تمد يديها و تتشبث بالفراغ تستنجد به، بينما نفس الظل يقف وراءها يطبق على عنقها رافعًا سكينًا ضخمة.. كان هناك صوت نشيج ونحيب لطفلٍ يبكى، هناك أيضًا ثمة صوت قطرات مياه تتساقط تصنع صوتًا رنانًا مخيفًا، كل هذا كان أكبر من قوة تحمله، فظل يصرخ ويدق على باب المصعد ليرتفع فجأة صوت رنين هاتفه!

هذه المرة الصدمة كانت أعظم!

فرنين هاتفه كان ينطلق بنغمته المميزة دون بطارية؟

بيد مرتجفة أخرج هاتفه فوجده بالفعل مضاءً وعلى شاشته اسم صديقه، فتح الاتصال وقرّب الهاتف من أذنه وهو يصيح ويكرر فى صراخ:

— ماذا تريدون مني؟

سمع أصوات رياح مختلطة بزمجرات وعويل وصراخ ورطانة، ثم سمع صوتًا مخيفًا واضحًا للغاية يقول:

– لقد عاد عقيلس من أجلك.

ألقى هاتفه أرضًا تحت نظرات عينه المتسعة فى رعب، نظر للشاشة الإلكترونية وجدها بالطابق السابع، فتح باب المصعد بعد أن ترك هاتفه ملقى وتوجه نحو باب منزله، أدار الرتاج ودخل منزله ثم أغلق الباب من ورائه فى سرعة، بأنامل باردة بحث عن مقبس الإضاءة ولكنها.. لم تستجب!

كان يشعر بأن هناك حركة بالمنزل، شعور قاتم استباح جوفه وجعل الأرض تميد من تحت قدميه، أغمض عينيه وكتم أنفاسه ولا يعلم ماذا يصنع، أصاب جفنيه ذلك الوهج ففتح عينيه سريعًا.. لقد عادت المصابيح للعمل و..

كل شيء يبدو على ما يرام!

كل شيء فى موضعه.

كل قطعة أثاث فى مكانها.

ورغم كل هذا، كان يخالجه شعور قوى أن هناك من يراقبه، خلع نعليه دون اكتراث، وضع سلسلة مفاتيحه فى مكانها المخصص ثم تحرك باتجاه غرفة نومه، وبينما كان يمر من أمام مرآة ضخمة تزين الحائط لمح ظلًا يتكور بركنٍ خلفه، دار بجذعه فى فزع فلم يجد شيئًا!

عاد ينظر للمرآة مجددا، فانتفض بقوة وانتصبت جميع منابت شعره!

فقد كان هناك يجثم فوق صدر ماجد صديقه؟!

رأى ذلك الكائن يلتهمه فى مشهد مقزز للغاية، صاحَبه صوت قرقعة عظامه تحت أسنانه، شعر بالدوار يكتنف رأسه، شعر بالغثيان ينتابه حتى أنه أفرغ ما بجوفه كاملا.. بزاوية المرآة الأخرى، كان الظل يقف خلف الفتـــاة، لكن بهذه المرة كانت تقف مستســـلمة تماما، ملامحها جامدة، نظرتها خالية من الحياة وثمة قطرات دماء تتســـاقط من نصل ســـكينه الذى أشهره عاليا.

- ما هذا العذاب؟

- كيف سيتحمل هذا؟

فجـــأة اختفت كل الصور من المرآة، وتحت صوت صرير مخيف، نبتت حروفٍ دموية من العدم، بل من قلب الجحيم استطاع أن يميزها.. (عـــ قـــ ى لـــ س)

كان فى حالة من التشـــويش والارتبـــاك والخوف العظيم، بات على يقين أن الدور عليـــه، تذكر كلمات ابن يعقوب:

مَن دنسها سوف يدنس.

مَن فتحها سينكل به وتطاله لعنة أبدية.

لن تنفك ولن تزول.

سمع صوت ضحكات ليست غريبة على أذنه!

نعم ضحكات آتية من غرفة نومه، ضحكات أنثوية خليعة!

سمع صـــوت زوجته تضحك فى رقاعة، وهنـــاك ثمة صوت ذكورى يبدو أنه يداعبها!

دخل غرفة المطبخ وسحب سكينا حادًا ثم رجع واقترب من غرفة النوم على أطراف أصابعه، وما إن أصبح خلف الباب تمامًا، سمع صوت تأوهاتها التى يعلمها جيدا ويعلم متى يسمعها، سمع شهقات شبقها، سمع أنَّاتها المتقطعة، ورغم أنه كان خلف الباب يقف، لكنه رأى كل شئ:

رأى تغنجها.

رأى تأودها.

(تلك الفاجرة تختلى بخدنها مستغلة غيابى، سأقتلها)

هكذا سولت له نفسه.

دفع الباب فجأة وفتح القابس فرأى تحت غطاء سريره حركة مريبة ولازال صوت زوجته يرتفع، كان فى حالة غريبة من المقت أشعلت داخله نيرانًا من الغضب والقسوة.. تقدم مسرعًا وسحب الغطاء من فوقها بقوة وبحركة واحدة، أطلقت صرخة فزعة وهى تنظر إليه فى ذعر شديد.

نظـــر جانبها فوجد رجلًا عاريًا، وبنظرة تتنافى مع دقة الموقف، كان ذلك الرجل ينظر إليه مبتسما!

لم يعره انتباه وإنما جذب زوجته من شعرها بقسوة، ثم قام بجرها من قميصها الأبيض، أوقفها بغلظة على قدميها وهى لا تزال تصرخ بقوة لا تستطيع الانفلات من تحت قبضته، كانا يقفان بمواجهة مرآة غرفتهما، تقف هى من أمامه بينما كان يضغط هو على عنقها بساعده!

بيده الأخرى رفع سكينه عاليا.

كانت تتوســـل وتتضرع، كانت تستنجد وتمد يديها للأمام تتشبثان بالهـــواء والفراغ، فى الوقت الذى سمع فيه صوت صراخ ابنه المذعور!

فى سرعة وإصرار هوى بسكينه نحو قلب زوجته لتتفجر منه الدماء، ظلت ترتجف تحت ضغط ساعده بينما يتطلع هو إلى انعكاس صورتهما فى المرآة مبتسمًا بشكلٍ عجيب!

فجأة ظهر ذلك الظل وراءهما ثم اختفى، وحينما دار بصره الخاوى نحو الفراش لم يجد شـــيئا ســـوى ابنه الرضيع يرفـــسُ بقدميه ويديه الهواء.. أرخى ســـاعده ليتحررعنق زوجته وتســـقط أرضًا ســـابحة فى دمائها، شعر بالصفاء ينتشر برأسه بعد تبدد وانقشاع سحائب التشويش التى أصابته، تراجع حتى جلس علـــى مقعد بركن الغرفة، وضع ذقنه بين راحتيه وانسابت دمعات الندم من عينيه، ليعلم يقينًا أنها لعنة أبدية لن تنفك، فلم يُنكل به، ولم يُنتقم منه، بل صارت لعنته هى عذاب عظيم ســـيظل ملازما له إلى يوم الدينونة جزاء بما اقترفته يداه.

***